ISSN: 2090 – 0449 Online
Type of License: CC BY-NC-ND
DOAJ API documentation: 359c88a5cecf4f7faa1c2f538c431346

فن الحوار سبيل من سُبل التواصل الاجتماعي
الواقع النبوي أنموذج

د. أحمد محمد عبد الحميد محمد

مدرس التاريخ الإسلامي
قسم التاريخ – كلية الآداب
جامعة المنصورة – جمهورية مصر العربية

مُلَخّصْ

الحوار أحد أنماط السياق الكلامي الذى لـه كينونته الخاصة، يحدث نتيجة التفاعل أو الصراع بين أطراف متعددة، ويمثل حالة حية متحركة نابضة فيها من الإشارة واللمحة والحركة، واستعمال الصوت بدرجات ونبرات متنوعة تتناسب مع المقام والسياق الكلامي، وكل هذه العوامل مساعدة في عملية التواصل، وبذلك يعد الحوار أحد أهم أدوات التواصل الاجتماعي. وتعددت تلك الأنماط الحوارية ما بين الشفهية والكتابية، كما تنوعت مجالات ومحاور الحوار ما بين الحوار السياسي والحوار الاقتصادي والحوار الاجتماعي والحوار الثقافي – المعلوماتي، والحوار مع الذات وحوار الحضارات والأديان، والحوار الجيد والناجح له العديد من الضوابط التي تؤهل المتحاور لبلوغ أهدافه، والتي من بينها النية الخالصة لله تعالى والصدق والصبر والتواضع والحلم والإلمام الكامل بمحاور الموضوع، واحترام الأخرين ومعاملة الناس بالحسنى، والبشاشة، واللين في التعامل. والواقع النبوي جسد أخلاقيات وأدبيات الحوار في شخص النبي (ﷺ) من خلال سلوكياته وأقواله وأفعاله، فكان مثالاً يُحتذى به على مر الأزمان والعصور، واستطاع من خلال ذلك أن يستخدم كل تلك الضوابط والآداب الحوارية في دعوته الحقه إلى الله تعالى. كما كان الواقع النبوي الشريف مرآة لكل أشكال التواصل السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي مع أفراد المجتمع، وتنوع النمط الحوارى النبوي ما بين النمط الحوارى الخطابي الوعظي والنمط الحوارى الكتابي.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٢٠ يوليو ٢٠١٤
تاريخ قبـول النشـر: ١٠ أكتوبر ٢٠١٤

كلمات مفتاحية:

العلماء والأنبياء، التواصل الاجتماعي، الحوار الإسلامي، الحوار النبوي، الكتاب والسنة

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

أحمد محمد عبد الحميد محمد. "فن الحوار سبيل من سبل التواصل الاجتماعي: الواقع النبوي أنموذج".- دورية كان التاريخية.- العدد الواحد والثلاثون: مارس ٢٠١٦. ص ٦٠ – ٦٨.

مُقَدِّمَة

الحوار من أفضل المهارات الاجتماعية لفتح قنوات التواصل بين البشر، فهو من أجل أعمال الأنبياء، والعلماء، والمفكرين، وقادة السياسة، والمربين، وهو أساس لنجاح علاقة الأب مع أبناءه، والزوج مع زوجه، والصديق مع أخيه، والأمة الناهضة هي الأمة التي تشيع فيها ثقافة الحوار بين أبنائها، وكلما ابتعدت الأمة عن فتح آفاق الحوار عانت من الأمراض الاجتماعية (التسلط، الذل، الكذب، المخادعة .. إلخ). وفن الحوار مع الأخرين ليس فنًا جديدًا، بل ذكر في كتاب الله عز وجل، فقال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]، ومن ثمَّ فإن هذه الورقة ترنو منهجيًا إلى تسليط الضوء على معالم الحوار البناء، كما تسعى إلى إبراز الشمائل المحمدية والخصائص النبوية التي كان الحوار إحدى مكوناتها، وإيضاح وسطية الإسلام وبراءته من التطرف والغلو، فالتعامل مع الناس بشكل لين وسلس وبطريقة حوارية بنائه من الأشياء التي تكتسب قلوب الناس.

وعلى هذا الأساس ستكون تلك الدراسة تحت مسمى "فن الحوار سبيل من سُبل التواصل الاجتماعي: الواقع النبوي أنموذج"؛ وسنعالج ذلك الموضوع من خلال خمسة محاور رئيسة وخاتمة: جاء الأول للتفسير اللغوي والاصطلاحي للحوار، والثاني لإبراز أدبيات الحوار في الإسلام، والثالث لمناقشة قيمة ومكانة الحوار في ميزان التواصل

الاجتماعي بين الأفراد والمجتمعات عامة، والرابع لإيضاح الواقع النبوي والمشاركة المجتمعية، والتي من ثَمَّ أثرت تأثيرًا بالغ الأهمية في جانب التواصل الاجتماعي مع أفراد مجتمعاته، وأخيرًا فن الحوار النبوي ودورة في نشر الإسلام من خلال الموعظة الحسنة والحكمة والطريقة الحوارية السلسة البناءة التي تُفتح لها قلوب البشرية. وتعتمد الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع والدراسات الأكاديمية التي تضفي على البحث الأصالة العلمية والمخرجات الفعالة.

أولاً: التفسير اللغوي والاصطلاحي للحوار

١/١- الحوار لغويًا:

قال بن منظور في لسان العرب:" الحَوْرُ: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، حار إلى الشيء وعنه حَوْرًا: رجع عنه وإليه، والمحاورة: المجاوبة"[٢]، وقال الفيروز آبادي: "المُحاورة: الجواب، والحيرة: مراجعة النطق، وتحاورًا: ترجعًا الكلام بينهم"[٣]. وقال أحمد بن فارس:" الحاء والواو والراء ثلاثة أصول أحدها لون، والآخر الرجوع، والثالث أن يدور الشيء دورًا.. فأما الأول فالحَوَر: شدة بياض العين في شدة سوادها.. ويُقال: حوّرتُ الثياب أي بيضتها... ويقال لأصحاب عيسى عليه السلام حواريون لأنهم كانوا يحوّرون الثياب أي يبيضونها، وأما الرجوع فيقال: حار إذا رجع، قال الله تعالى ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾[٤]، والعرب تقول: الباطل في حور، أي رجع ونقص، وكل نقص ورجوع حُوُر، والأصل الثالث: المحور: الخشبة التي تدور فيها المحالة"[٥].

ولفظ المحاورة كان مستعملاً عند عرب الجاهلية بمعناه المعروف اليوم، وقد ورد في معلقة عنترة قوله عن فرسه:

فازور من وقع القَنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتحمحم

لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمى.[٦]

وبذلك يقوم الأصل اللغوي للحوار على أن هناك أقوالاً تدور بين طرفين، ولابد لها أن تبدأ من طرف فتنتقل إلى طرف أخر، ثم تعود إلى الأول، وهكذا تقع المحاورة والتحاور.

٢/١- الحوار اصطلاحيًا:

هو مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين أو أكثر في موضوع معين، يريد كل منهما إثبات رؤيته أو وجهة نظره حقًا كانت أم باطلاً، وهذا هو الأصل في الحوار، وقد يتسع ليشمل أطراف متعددة، فليس بالضرورة في الحوار أن يكون بين طرفين متعارضين، إنما قد يكون بين أطراف متفقة أو متقاربة في المنهج والرؤية، وذلك لحل قضية أو مسألة أو موقف بعينه للوصول إلى حل أو نتيجة أو اتفاق.[٧] وقد اتسعت دائرة مفهوم الحوار عبر التاريخ مع تطور نظم الحياة والثقافة والفكر، وأصبحنا نجد في أدبيات الثقافة المعاصرة مصطلحات متعددة تتخذ من الحوار منطلقًا لها: كمحور الثقافة، ومحور التنمية، ومحور التكنولوجيا، والحوار مع الذات، والحوار المجتمعي، والحوار السياسي، والحوار الثقافي – المعلوماتي، وحوار الحضارات والثقافات، وحوار الأديان... إلخ.[٨]

وقد يتحول الحوار إلى الجدل حينما تشتد الخصومة ويحدث التنازع بين أطراف الحوار إذا أراد كل طرف إلزام خصمه وإجباره على قبول رأيه،[٩] أو يتحول الحوار إلى مناظرة حينما يتردد الكلام بين طرفين يسعى كل منهما إلى تصحيح قوله وإبطال قول محاوره[١٠]. وهناك نوع أخر إلى جانب الحوار الشفهي، يمكن اصطلاحه بالحوار الكتابي كالرسائل والردود عليها وكتب الحوار بين الأديان والحضارات وما يستتبع ذلك من ردود، والمثال على ذلك من خلال الواقع النبوي، هي رسائل النبي (ﷺ) إلى ملوك عصره وأمرائه التي فتحت باب الحوار مع الحضارات المجاورة لدعوتها إلى الله تعالى.

ثانيًا: أدبيات الحوار في الإسلام

أدبيات الحوار هي مجموعة الآداب والأخلاق التي يجب على المتحاورين التحلي بها بغية تحقيق أهداف الحوار، وهى المزيد من التفاهم والإسهام في حل المشكلات، مع الإبقاء على العلاقات الإنسانية القائمة في حالة حسنة دون تغير إلى الأسوأ نتيجة اختلاف الآراء.[١١] والحالة الحوارية أو التفاوضية لها سياقها وظروفها الخاصة، فقد تكون هنالك علاقات حسنة موجودة بالفعل بين أطراف الحوار أو التفاوض، وقد يكون غير ذلك، وتتعدد الأهداف حسب كل حالة حوارية، ومن أهم أدبيات الحوار ما يلى:

١/٢- النية الخالصة لله تعالى:

الحوار من أجل الأعمال، ولذا لا بد له من نية خالصة لله تعالى تتمثل في إحقاق الحق وإظهاره على الناس، وينبغى أن يتحقق ذلك عمليًا في واقع الحياة، وذلك لقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٢]، وقد أوضح النبي (ﷺ) حقيقة النية في حديثه القائل فيه " إنما الأعمال بالنيات ولكل أمرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدينا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[١٣]، فليس المقصود من الحوار أن يظهر المحاور براعته وثقافته أو أن يتفوق على الآخرين ويحظى بالغلبة والفخر وحب الرياسة ، فالمراد الأول والأخير من الحوار إظهار الحق وإحقاقه[١٤].

٢/٢- الصدق في الحوار:

الصدق هو ذكر الشيء على حقيقته دون زيادة أو نقصان، والصدق أساس لاستقامة الحياة، وفي هذا الشأن يقول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [١٥] ويؤكد ذلك قول النبي (ﷺ) "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا".[١٦]

٣/٢- الصبر والتواضع:

إن من أهم أدبيات الحوار الصبر والتواضع والاعتماد على الدليل البين الذى هو سبيل هام لنجاح الحوار، وقد قال الله تعالى في هذا الشأن ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾،[١٧] ولقد

واجه رسول الله (ﷺ) من الناس إبان دعوته ألوانًا من التطاول والتعالي فما ضجر وما سب وما لعن، بل ابتسم لذلك الرجل الذى خنقه بثيابه طالبًا بعض المال حتى احمرت رقبته الشريفة (ﷺ) فما زجره وما لعنه، بل أعطاه ما سأل[١٨]، وقال رسول الله (ﷺ) "إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفتخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد"[١٩]، وبذلك يكون التواضع جسر وقناة تفتح الطريق أمام المتحاورين للنقاش البناء.[٢٠]

٤/٢- الثقة بالنفس:

من أهم سمات الحوار الناجح أن يكون المتحاور واثقًا في ذاته ولا يهاب محاوره، وأن يقدم حججه ناصعة، لا يضره في ذلك كيد أو جهل جاهل، فالحق أكبر من هذا كله، ولولا ثقة النفس التي تحلى بها شخص النبي (ﷺ) ما خرج على قومه معلنًا دعوته وداعيًا إلى الله ليل نهار، يدعو الصغير والكبير والعبد والحر والمرأة والرجل، وقد كان يدعو كل من يراه، ويخرج في الموسم فيعرض نفسه على القبائل ليضمن الحماية وحرية الدعوة إلى الله، ورغم كثرة المعارضين ورغم خوف القبائل من سلطان قريش وسطوتها، خرج محاورًا أهل المدينة ورغّبهم حتى وجد عندهم طلبه، فهاجر إليهم[٢١].

٥/٢- مخاطبة الناس على قدر ثقافتهم:

من صفات الحوار الجيد مخاطبة الناس على قدر ثقافتهم واحتواء تلك العقليات، ولذا ينبغي لمَنْ يطلب النجاح لحواره أن يترفّق بالناس، وأن يعرف قدر الإمكان ثقافة المخاطب وخلفياته الثقافية والمعرفية والحضارية، وهذا كله يؤثر على مجرى التحاور.[٢٢] ولقد أجاب النبي (ﷺ) كل سائل بما يصلحه، وكل على قدر عقله، وكان مترفق بالناس ورحيم ومرشد لهم إلى ما ينفعهم عمليًا في أمور الدين والدنيا معًا، وهكذا كانت أقوال الصحابة الكرام مأخوذة من هدي النبي (ﷺ).[٢٣]

٥/٢- الهدوء وتجنب الغضب:

إن الغضب من أخطر أفات الحوار، لأنه يخرج الإنسان عن حدود السلوك القويم، ويخرجه من دائرة النقاش والتقارب إلى الخصومة والغضب، ولقد نُهينا عن الغضب، كما أمرنا النبي (ﷺ) بذلك في الحديث النبوي "أن رجلاً قال للنبي (ﷺ) أوصني: قال لا تغضب فردد مرارًا لا تغضب"،[٢٤] وفي حديث أخر" لا يقضين حكم أحدكم بين اثنين وهو غضبان"[٢٥] ذلك أن الغضب مخرج للإنسان عن شعوره وتعقّله.[٢٦]

٦/٢- إتباع الحسنى في القول والفعل:

إن إتباع الحسنى في القول والفعل كافٍ لجذب القلوب والعقول الواعية، ولهذا أُمر المسلمون بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾.[٢٧] وسنة النبي (ﷺ) وأفعاله خير مثال لدعوة الناس إلى الله بالحسنى، والدعوة إلى الله بالحسنى دعوة عامة للمسلم وغير المسلم وأدب قرآني أُمر به المرسلون على مر التاريخ ، وذلك مصداقًا لقول الله تعالى ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٢٨] وإن كان الجدال في الدعوة بين المسلمين مذمومًا، فإنه مباح للتعلم والمناظرة.[٢٩]

٧/٢- احترام المُحَاور:

لقد كرم الله الإنسان وفضله على كثير ممن خلق، كما أكد ذلك في محكم آياته ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾،[٣٠] وكان النبي (ﷺ) يظهر الاحترام الكبير لكل من خالفه في الدين ولو لقى منه الأذى والاعتداء، وهو أدب قرأني، ولا غرور في ذلك فقد كانت أخلاقه هي أخلاق القرآن العليا.[٣١]

٨/٢- الدراية الكاملة بموضوع الحوار:

من أسباب نجاح الحوار وسرعة تأثيره أن يلم المحاور بعناصر موضوعه وأن تكون لديه الحجج الدامغة والمعلومات المناسبة التي يقنع بها الخصم، وقد بين الله تعالى ذلك فقال:﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ. هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.[٣٢] وعلى المحاور أن يعد موضوع حواره إعدادًا جيدًا بأدلته وعناصره، والإتقان في كل أمر محمود مطالب به، كما في الحديث النبوي "إن اللهَ يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"[٣٣]، وهو في مجال المحاورة التي أساسها الدعوة إلى الله أكثر تطلبًا. ومن الآداب المستحبة في فن الحوار "بشاشة الوجه ولين الجانب وخفض الجناح وإلقاء السلام والاستشهاد بالقصص والإشارات والايماءات وكلها أمور لها مفعول السحر في اجتذاب قلوب البشر وتفتح مغاليق القلوب وتؤلف بين الأرواح[٣٤]، وفي الحديث النبوي ما يؤكد ذلك "لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق".[٣٥].

ثالثًا: قيمة الحوار في ميزان التواصل الاجتماعي

العملية الحوارية هي لون من ألوان الكلام له كينونته الخاصة، فهي وليدة لحظة التفاعل أو الصراع بين أطراف متعددة، إنه ليس خطبة في جمهور، بل حديث فكرى يدور بين طرفين متعارضين أو متقاربين بينهما بعض اختلاف، ويتمثل الحوار في الحالة الحية المتحركة النابضة التي فيها من الإشارة واللمحة والنظرة والحركة واستعمال الصوت بدرجات ونبرات متنوعة تناسب السياق الحوارى، وكل هذه العوامل مساعدة في عملية التواصل، وبذلك يعد الحوار أحد أهم أدوات التواصل الاجتماعي، ونوضح ذلك فيما يلى:

فالحوار يساهم في اتساع دائرة التعارف بين الناس، وذلك مصداقًا لقول الله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٣٦]، ولن يتم ذلك التعارف إلا بالتحاور، وبذلك تعددت أنماط الحوار ما بين الحوار الداخلي بين أبناء المجتمع الواحد كحوار السياسيين والاقتصاديين والمثقفين، وحوار العلمانيين مع الدعاة، والحوار مع الآخر المتمثل في حوار الأديان وحوار الحضارات وحوار

الثقافات، وهذا كله يظهر في صور عديدة كالحوار المباشر أو الكتابة أو الحوارات الإعلامية.. إلخ.

ويجسد الحوار لغة لتجنب سوء الفهم والخصومة بين الأصدقاء والأصحاب، الذى يزول غالبًا بكلمة طيبة أو لقاء يسير فيزول الخلاف بقليل من العتاب وينتهى الأمر إلى محبة وألفه على المستوى الفردي[٣٧]، أما على المستوى الدولي فيسعى الحوار للحد من التنافس والصراع بين الدول عن طريق عقد لقاءات ومؤتمرات حوارية للتواصل والتباحث حول حل قضية أو إشكالية ما، والتي تمنع ويلات الحروب والدمار.[٣٨]

ويشكل الحوار وسيلة من وسائل الممارسة الديمقراطية وحرية الرأي والتعبير ضد التسلط والاستبداد السياسي والانغلاق الفكري وتجنب العنف بكل طرقه، وعدم الدخول في حالة فوضوية وانقسامية، حينما يتشبث كل طرف برأيه مهملاً أو متجاهلاً وجهات نظر الأطراف الأخرى، فالانفراد والاستبداد بالرأي هو مقدمة للطغيان، والبديل الأمثل هو الحوار.[٣٩]

ويمثل الحوار المجتمعي أساس التفاهم والتعايش السلمى بين القوى والفصائل المتنوعة التي تشكل بنية المجتمعات، وبدون هذا الحوار والتفاهم سينقلب الأمر إلى صراع، وهذا النمط الحوارى يرسخ لتعايش الأديان والمعتقدات المختلفة جنبًا إلى جنب في مجتمع واحد، وقد أرسى الإسلام هذا النمط، وتعايش المسلمون مع أقرانهم من أصحاب الديانات الأخرى عبر التاريخ، ومنذ أول يوم للإسلام في مكة، تعايشوا مع غير المسلمين بالتفاهم والتحاور، وهذا التعايش في حد ذاته سبيل من سُبل الدعوة إلى الله.

والحوار أداة فعاله لنقل الأفكار وتبادل المعلومات وتنمية القدرة على التفكير وتنقيحه والتواصل مع الآخرين، ولذلك رسخ الإسلام لمبدأ الشورى، وهو عمل حوارى تتلاقى فيه الأفكار والآراء للوصول إلى الرأي السديد، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾، وقد مارسها النبي (ﷺ) طيلة حياته المباركة.[٤٠] كما أن الحوار يُعد واحد من أهم الوسائل المشروعة للدعوة إلى الله تعالى، وسيرة نبينًا محمد (ﷺ) مليئة بالنماذج البناءة سواء على مستوى دعوة الأفراد أو الجماعات غير المسلمة إلى الإسلام، أو التفاهم والتعارف وإزالة سوء الفهم، والحوار الجاد "يمكن أن يحقق فوائد جمة إذا امتلك الداعية أدواته وهو يحاور الآخرين، ومن المؤكد أن الحوار نافذة من نوافذ الخير والنور".[٤١]

وعلى هذا الأساس فإن الكثير من الصور المغلوطة التي تحملها شعوب العالم تجاه المسلمون، ناتجة عن أسباب عدة منها الاختلاف العقدي والمخزون القديم من الصراع والحروب، والمخيلة التي شحنها الإعلام المعادي وبعض السلبيات في واقع المسلمين أنفسهم، كل ذلك يجعل للمسلمين صورًا سلبية لدى الآخرين، والحوار من أهم الوسائل لتغيير ذلك كله، كذلك فإن المسلمين يتعاملون مع الأخر على غير النهج السديد ولا يفرقون بين المسالم والمعادي، وفي هذا الشأن قال تعالى عن أهل الكتاب ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾.[٤٢]

والحوار وسيلة لإقناع المخالف إن كان ممن يقبل الحق، ويؤكد ذلك الدكتور صالح بن حميد بقوله: "الغاية من الحوار إقامة الحجة، ودفع الشبهة والفاسد من القول والرأي، فهو تعاون من المُتناظرين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها، ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق".[٤٣] ويرى الشيخ سلمان العودة أن الحوار تُبرز أهميته من جانبين: الأول: دعوة الناس إلى الإسلام، ودعوة المبتدعين من المسلمين إلى السنة النبوية، والثاني: فصل الخلاف في الأمور الاجتهادية، حيث يعد الحوار وسيلة للوصول إلى اليقين في مسألة اجتهادية اختلفت فيها أقوال المجتهدين[٤٤]، ويقول الدكتور عبد الكريم بكار: "يصعب علينا أن نقول: إننا نملك فضيلة التسامح إذا لم نؤمن إيمانًا عميقًا بجدوى الحوار في تحسين رؤيتنا للأشياء، حين نعتقد أن في كل المسائل الغامضة نقاطًا مظلمة، تحتاج إلى إضاءة، وأننا من خلال قدراتنا العقلية والمعرفية الخاصة، لا نتمكن من إضاءة تلك النقاط، فإننا نسعى إلى الحوار بوصفه الأداة الوحيدة لتوضيح الصورة الذهنية للأشياء، ومن خلال الحوار نمحص الفكرة بالفكرة والمقولة بالمقولة، ومن خلال الحوار نمنح الأفكار امتدادات جديدة، كما نحرم بعض الأفكار من امتدادات غير مشروعة، وينطوي الحوار على التسامح، لأنه ينطوي على اعتراف ضمني بالقصور، ويحد من غلواء الاعتداد بالذات، وهذا هو الذى يرسخ لدينا مشاعر الحاجة إلى الآخرين، وتبدأ حركة التأثير والتأثر، وإن كل واحد منا مطالب بالإيمان بأن الحوار ليس شعارًا نرفعه أو شيئًا نتجمل به، وإنما هو مصدر لتعبير الأفكار وتنمية الاتجاهات وإزالة الأوهام.[٤٥]

إن لغة وثقافة الحوار صمام الأمان لعالم اليوم الذى يموج بالتنوع والاختلاف ويقاد إلى التوحّد على نمطية واحدة يروّج لها أصحابها بوصفها النمطَ الأمثل للحياة، وتعارضه في الوقت نفسه أيدولوجيات وأجندات وأفكار أمم وشعوب وحضارات تسعى لفرض رؤاهم وثقافتهم المتعددة، وتمتلك في الوقت ذاته القوة والمال ووسائل الإعلام.[٤٦] وفي الأخير أصبحت الحاجة ملحة إلى إشاعة ثقافة الحوار والتفاوض داخليًا وخارجيًا، لمزيد من التفاهم بين المسلمين، ذلك التفاهم الذى يكاد يكون مفقودًا أو على الأقل غير فاعل، حتى وصل الأمر إلى الفرقة والاختلاف وإضاعة الفرص وتمكين العدو منا، بل الحرب بين المسلمين أحيانًا.

رابعًا: الواقع النبوي والمشاركة المجتمعية

إن سيرة المصطفي (ﷺ) والتاريخ الإسلامي سجلان وافران وحافلان بإقرار هذا المبدأ- المشاركة والتواصل - ، باعتبار أن قيام الحضارات ودوامها وثباتها يتوقف توقف كامل على قبول الاختلاف وضرورة الانفتاح على الآخر والتواصل معه تواصلاً إيجابيًا رصينًا، وفي هذا الصدد يقول أحد الباحثين المعاصرين "..إن من مقومات الحضارة العربية الإسلامية احترام الآخر والانفتاح عليه والتكامل

معه، وليس تجاهله، أو إلغاؤه، أو تذويبه؛ ويشهد تعدد الأقليات الدينية والإثنية في العالم الإسلامي ومحافظتها على خصائصها العنصرية وعلى تراثها العقدي والديني على هذه الحقيقة وأصالتها، وإن اعتراف الإسلام بالآخر ومحاورته بالتي هي أحسن وقبوله كما هو، لا يعود بالضرورة إلى سماحة المسلمين فقط، وإنما يعود في الأساس إلى جوهر الشريعة الإسلاميّة عقيدة وقيمًا.."[٤٧].

ومن المعلوم لدى القاصي والداني أن الإسلام دين يقوم على الاعتراف الإيجابي بالآخر، وإقراره على معتقده ودينه، وقد تضافرت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة النبوية الشريفة مقررة ومؤكدة هذا المبدأ الحضاري الناصع، ولعل من أوضح النصوص القرآنية التي تؤصل مبدأ الاعتراف بالآخر قوله تبارك وتعالى ﴿لكم دينكم ولي دين﴾[٤٨]، وقوله جل شأنه داعيًا أهل الكتاب إلى عدم الغلو في دينهم: ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾.[٤٩]

والسنن النبوية القولية والفعلية والتقريرية التي وردت مؤكدة هذا المبدأ الإلهي الخالد، أكثر من أن تحصى لوفرتها ووضوحها وجلائها، ويكفي المرء أن يجيل نظرًا ثاقبًا وعقلاً متدبرًا في سيرته الغراء (ﷺ) ليجد نماذج حية واضحة لجميع أشكال التواصل مع الآخر. فبالنسبة للتواصل السياسي، فقد اعتمده المصطفي (ﷺ) من خلال جملة المراسلات والمخاطبات التي كانت تتم بينه وبين سادة القبائل والأمم والشعوب، ورسائله (ﷺ) إلى الملوك والسادة أصدق تعبير عن الرغبة الصادقة في التواصل مع الآخر، وخير مثال على ذلك خطابة الحوارى إلى ملك الروم يدعوه للإسلام بأسلوب راقي، فيقول "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى: أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت عليك إثم الأريسيين[٥٠]، و﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٥١]، كما أن الرسول (ﷺ) حث صحابته الكرام رضى الله عنهم على الهجرة إلى بلاد الحبشة قائلا: "..إن بأرض الحبشة ملكا لا يُظلم أحدًا عنده، فألحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجًا ومخرجًا مما أنتم فيه.." [٥٢]، وتعد كل هذه البلاغات النبوية الطاهرة نماذج ساطعة للانفتاح والتواصل السياسي الذى تميز به (ﷺ) في حياته.

وأما التواصل الاجتماعي، فلقد طبقه (ﷺ) من خلال تواصله مع الأقوياء والضعفاء والكبير والصغير والأرملة والمسكين ومع أصحابه وأعدائه، ليجسد لنا صورة حية من فن التعامل النبوي مع كافة أفراد المجتمع لا ينأ بنفسه عن أحد، فكان ذلك دافعًا لقبول الدين الذى جاء رحمة للبشرية.[٥٣] وبالنسبة للتواصل الاقتصادي، فكان له حضورًا واضحًا من خلال ما عرف عنه (ﷺ) من المعاملات الحياتية تعايشًا وبيعًا وشراء ودينًا ورهنًا مع أهل الكتاب في المدينة المنورة،[٥٤] كذلك التواصل الثقافي والتربوي، فإن المرء يجده حاضرًا في حثه (ﷺ) لبعض أصحابه كالصحابي الجليل حذيفة بن اليمان على تعلم العبرانية وسواها، كما يجد المرء حضورًا لهذا التواصل من خلال حثه (ﷺ) لأم المؤمنين عائشة على مشاركتها في ذلك، كذلك أرسى القواعد والمبادئ التي تحث على النظرة الإيجابية والانفتاح الواعي على ما عند الآخر من قيم ومعانى وخصال، فحث على الاستفادة من الحكمة بغض النظر عن مصدرها، وقال (ﷺ) كلمته الجامعة المانعة في الحديث: "الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها".

كذلك سلك الإسلام منهجية النهى الصريح عن جميع الممارسات والتصرفات التي تؤدى إلى نفي الآخر أو إقصاءه أو إكراهه، ذلك لأن الاعتراف اللفظي بالآخر لا ثبات له إذا لم يقترن بالاعتراف الفعلي والعملي به، وتأكيدًا لذلك فقد وردت نصوص صريحة تنهى عن نفي الآخر، وتحرم إكراهه على تغيير دينه وعقيدته، ومن تلك النصوص، قوله تعالى: ﴿ لا إكراه في الدين، قد تبيّن الرشد من الغيّ﴾[٥٥] ، وقوله جل شأنه: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾.[٥٦] وأخيرًا؛ فإن وشائج التواصل مع الآخر لا تتم ما لم يكن هناك ثمة اعتراف به وبدينه وثقافته وأسلوبه ومنهجه في الحياة، فالاعتراف المتبادل هو أساس التواصل بجميع صوره وأشكاله.

خامسًا: فن الحوار النبوي ودوره في نشر الإسلام

إن طرق الإبلاغ النبوي للرسالة المحمدية عن الله عز وجل كانت متنوعة، فمنها السردي دون سؤال أو حوار، ومنها الحوارى الخطابي القولي عن النبي (ﷺ) كالخطب وبعض المواعظ والأوامر والنواهي والمشورة وإبداء الرأي في مسألة ما، ومن أبرز تلك النماذج النبوية الحوارية ما يلى:

كانت أولى اللقاءات الحوارية مع عمه أبو طالب الذى نازعته قريش نزاعًا طويلاً في أمر النبي (ﷺ)، حيث قال أبو طالب لرسول الله (ﷺ): "يا بن أخي، ما هذا الدين الذى أراك تدين به؟ قال: أي عم، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم، بعثني الله به رسولا إلى العباد، وأنت أي عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى وأحق مَنْ أجابني إليه وأعانني عليه، فقال أبو طالب: أي بن أخي، إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يُخلص أحد إليك بشيء تكرهه ما بقيت".[٥٧] كذلك الدعوة العلنية لقريش للدخول في دين الله، حيث دعاهم بأسلوب المُحب لهم والخائف عليهم، فخرج إلى البطحاء وصعد الجبل ونادى فيهم قائلاً " يا معشر قريش! فاجتمعوا إليه فقال: أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أكنتم تصدقونى؟ قالوا نعم، قال: فأنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد، فقال أبو لهب: يا محمد ألهذا جمعتنا؟ تبًا لك، فأنزل الله عز وجل سورة ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾".[٥٨]

وعلى أثر هذا اللقاء وتزايد الداخلين في الإسلام وانتشار الأخبار عن الإسلام، وخروج الدعوة المحمدية إلى خارج مكة عن طريق الوفود الآتية للحج والعمرة والتجارة، ازداد الصراع بين الفريقين، وعادت قريش إلى أبى طالب تشكو إليه محمدا (ﷺ)، فكان الرد النبوي لعمه " يا

عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلكَ دونه ما تركته، ثم استعبر رسول الله (ﷺ) فبكى ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا بن أخي، فأقبل عليه رسول الله (ﷺ) فقال: اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت، فو الله لا أسلمك لشيء أبدًا"[٥٩]، ولما حضرت أبى طالب الوفاة جاءه رسول الله (ﷺ) وكان عنده أبى جهل وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة، فقال له رسول الله: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله، لكن سادات قريش ردوا أبى طالب عن قولها ومات على دين أبائه.[٦٠]

كان الرد القرشي تجاه نجاح الدعوة المحمدية وتزايد المنضمين لها أن استخدموا أساليب الإيذاء والتنكيل بالمسلمين، حيث قال بن إسحاق: "إن قريشًا اشتد أمرهم للشقاء الذى أصابهم في عداوة رسول الله (ﷺ) ومن أسلم معه منهم، فأغروا برسول الله (ﷺ) سفهاءهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون، ورسول الله (ﷺ) مظهر لأمر الله لا يستخفي به مباد لهم بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال أوثانهم وفراقه إياهم كفرهم".[٦١]

لم تجدى المحاولات التي اتبعتها قريش في مواجهة الدعوة المحمدية التي كانت في تقدم مستمر، فكان التوجه القرشي لعرض المغريات الدنيوية على رسول الله (ﷺ) وما يؤكد ذلك الحوار الدائر بينه وبين أحد سادات قريش الذى عرض عليه المال والسلطة والملك والنسب، فكان الرد النبوي أن أسمعه بعض آيات القران الكريم[٦٢]، فقال ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. حم. تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ. وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾[٦٣]، وعلى أثر ذلك تحول الصراع بين قريش والنبي محمد رسول الله (ﷺ) إلى العداء والإيذاء لشخصه ولصحابته.

كان التطلع النبوي من أجل نشر دعوته لخارج الأراضي المكية، فكان النبي (ﷺ) يعرض نفسه على القبائل في مواسم الحج فتأبى عليه لما بينها وبين قريش من علائق ومصالح سياسية واقتصادية، ولكنه (ﷺ) اتبع خطوات أبعد، فقد خرج بنفسه إلى خارج مكة يعرض نفسه على أهل القرى، وفي هذا الميقات الزمنى جاءت رحلته إلى الطائف التي رده أهلها ردًا غليظًا جافيًا[٦٤]، فبدأ يبحث عن قرية أخرى، وهنا تبدأ حواراته مع بعض أهل يثرب الذين يفدون إلى مكة.

قام النبي بدعوة قوم من الخزرج أراد الله بهم خيرًا، وفي هذا الصدد يقول بن إسحاق: "لما لقيهم رسول الله (ﷺ) قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج، قال: أمن موالى يهود؟ قالوا: نعم، قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، قال: وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبيًا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وأرم فلما كلم رسول الله (ﷺ) أولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلموا والله إنه للنبي الذى توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام وقالوا: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك، ثم انصرفوا عن رسول الله (ﷺ) راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا"[٦٥]، فكانت تلك الخطوة البشارة والشعاع الأول الذى انبعث إيذانًا بانتشار الإسلام خارج مكة، وسيعقبها خطوات تفضى في النهاية إلى هجرة النبي (ﷺ) إلى المدينة.

قام النبي باستخدام الأسلوب الحوارى الفردي إلى جانب الجماعي، وذلك في سياق نشر الدعوة المحمدية التي ملئت الكون ضياء بعد الظلام، وفي هذا الصدد نشير إلى بعض النماذج الحوارية الفردية، حيث كان اللقاء الحوارى مع أبى ذر الغفاري فيقول واصفًا ذلك " كنت رجلاً من غفار فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة يزعم أنه نبي فقلت لأخي: انطلق إلى هذا الرجل كلمه وأتني بخبره، فانطلق فلقيه ثم رجع، فقلت: ما عندك؟ فقال: والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير وينهى عن الشر، فقلت له: لم تشفني من الخبر، فأخذت جرابًا وعصا ثم أقبلت إلى مكة، فجعلت لا أعرفه وأكره أن أسأل عنه، وأشرب من ماء زمرم وأكون في المسجد، فمر بي على، فقال: كأن الرجل غريب، قلت نعم، قال: فانطلق إلى المنزل، فانطلقت معه لا يسألني عن شيء ولا أخبره، فلما أصبت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه وليس أحد يخبرني عنه شيء، فمر بي على فقال: أما نال للرجل أن يعرف منزله بعد؟ قلت: لا، قال: انطلق معي، ثم قال: ما أمرك وما أقدمك هذه البلدة؟ قلت إن كتمت على أخبرك، قال أفعل، فقلت له: بلغنا أنه قد خرج ها هنا رجل يزعم أنه نبي فأرسلت أخي ليكلمه فرجع ولم يشفني من الخبر فأردت أن ألقاه، فقال له: أما إنك قد رشدت، هذا وجهى إليه فأتبعني إليه فأتبعني، ادخل حيث ادخل، فإني إن رأيت أحدًا أخافه عليك قمت إلى الحائط كأنى أصلح نعلى وأمض أنت، فمضى ومضيت معه حتى دخل ودخلت معه على النبي (ﷺ) فقلت له: اعرض على الإسلام، فعرضه فأسلمت مكاني، فقال لي: يا أبا ذر، اكتم هذا الأمر وارجع إلى بلدك، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل، فقلت : والذى بعثك بالحق لأُصرحن بها بين أظهرهم".[٦٦]

وهذه أيضًا إحدى الحوارات النبوية الفردية البناءة التي كان لرقيها وحُسنها الأثر البالغ في إسلام الصحابي عمر بن عبسه السلمى يقص النمط الحوارى الذى أهداه إلى الطريق الحق، فيقول" كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلاله وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه فإذا رسول الله (ﷺ) مستخفيًا جراء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له من أنت؟ قال: أنا نبي، قال وما نبي؟ قال: أرسلني الله، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: أرسلني

بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء، فقلت له: فمن معك على هذا؟ قال حر وعبد، قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن أمن به، فقلت: إني متبعك، قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني".[٦٧]

بعد تلك اللقاءات العديدة الحوارية التي تركت بصمات واضحة المعالم، وتناقلت الأخبار والأحاديث عن الرسول وصحابته وأصبح للدعوة ثقل بعد ضعف، اتجه رسول الله (ﷺ) لعرض الإسلام على الوفود والقبائل فالبعض يرفض والبعض يتردد، حتى كانت بيعة العقبة الأولى والثانية، وانتقال الثقل الدعوى للمدينة المنورة، لتأسيس الدولة المحمدية التي قامت على أسس الحوار الفعال، ومنها ستنتشر إلى كافة أرجاء الجزيرة العربية، وأصبح العرب بعد اعتناق الإسلام حمله رسالة السماء إلى البشرية كافة.

لم يقتصر الحوار النبوي على الحيز العربي فقط، بل تخطاها إلى الدعوة بالحوار الكتابي إلى أمراء وملوك الشعوب المجاورة، ومن تلك الخطابات الحوارية خطاب النبي (ﷺ) إلى هرقل عظيم الروم ومضمونه "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى: أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت عليك إثم الأريسيين، و﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.[٦٨]

كذلك الخطاب النبوي الحوارى إلى كسرى ملك الإمبراطورية الفارسية، ونص الرسالة كما أورده الطبري "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلى الناس كافة، لينذر من كان حيًّا، أسلِمْ تسلَمْ، فإن أبيت عليك إثم المجوس".[٦٩]

والخطاب النبوي الحوارى إلى النجاشي ملك الحبشة والذى احتوى مضمونا حواريا بديعا تستجيب له القلوب، فجاء كالآتي «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى النجاشي ملك الحبشة، أسلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة, فحملت به، فخلقه من روحه ونفخه, كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة عن طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى».

هذه بعض من النماذج الخطابية الحوارية النبوية التي احتوت داخلها مكنون من الأسرار العجيبة التي تفتح لها مغاليق القلوب، والأسلوب الراقي البديع الذى نهل منه العباقرة السياسيون، والتي بلغ من خلالها صدى الدعوة المحمدية أرجاء الدنيا عامة.

خاتمة

من خلال المعايشة الوجدانية لموضوع فن الحوار توصلت الدراسة لمجموعة من المخرجات العلمية، ونوضحها فيما يلى:

- الحوار وسيلة أساسية من وسائل التواصل الاجتماعي التي تعود بأصولها إلى الأزمان البعيدة، ولها من الفاعلية والإيجابية القدر الكبير في التواصل مع الأخر.
- الحوار أحد أنماط السياق الكلامي الذى له كينونته الخاصة، يحدث نتيجة التفاعل أو الصراع بين أطراف متعددة، ويمثل الحوار حالة حية متحركة نابضة فيها من الإشارة واللمحة والحركة، واستعمال الصوت بدرجات ونبرات متنوعة تتناسب مع المقام والسياق الكلامي، وكل هذه العوامل مساعدة في عملية التواصل، وبذلك كان الحوار أحد أهم أدوات التواصل الاجتماعي.
- تعددت الأنماط الحوارية ما بين الشفهية والكتابية، كما تنوعت مجالات ومحاور الحوار ما بين الحوار السياسي والحوار الاقتصادي والحوار الاجتماعي والحوار الثقافي والحوار مع الذات وحوار الحضارات والأديان.
- الحوار أسلوب أساسي في كثير من وسائل الإعلام على اختلاف توجهاتها ورؤاها، لنقل مادتها الإعلامية عبر محاورات تتم مع أعلام الثقافة والأدب والسياسة، ذلك الحوار الهادف الذى ينتج فكرًا إبداعيًا وينقّب عن مكامن النفس والعقل بالسؤال والمراجعة ويستخرج من النفس أشياء لم تكن لتخرج تلقائيًا دون استخدام السؤال والمحاورة.
- الحوار الجيد والناجح له العديد من الضوابط التي تؤهل المتحاور لبلوغ أهدافه، والتي من بينها النية الخالصة لله تعالى والصدق والصبر والتواضع والحلم والإلمام الكامل بمحاور الموضوع، واحترام الأخرين ومعاملة الناس بالحسنى، والبشاشة واللين في التعامل، كذلك تعد الإشارات والإيماءات والأسلوب القصصي من الأمور التي لها مفعول قوى في عملية التحاور.
- إن لغة وثقافة الحوار صمام الأمان لعالم اليوم الذى يموج بالتنوع والتشاحن والإشكاليات بين دوله ومجتمعاته وأفراده، ولذا فالحوار وسيلة مثلى لحلحلة تلك الإشكاليات فهو وسيلة للتعارف والمحبة والمودة، وتجنب سوء الفهم والخصومات وويلات الحروب والدمار، وأداة من أدوات الممارسة الديمقراطية والفعالة وحرية التعبير عن مكنون الصدور، ووسيلة لتبادل الخبرات والقدرات والأفكار، وأسلوب دعوى متميز يُفتح له مغاليق القلوب وغيرها من الأهداف والرؤى التي تسعى إليها ثقافة الحوار.
- جسد الواقع النبوي في شخص النبي (ﷺ) أخلاقيات وأدبيات الحوار في سلوكه وأقواله وأفعاله، فكان مثالا يحتذى به على مر

الأزمان والعصور، واستطاع من خلال ذلك أن يستخدم كل تلك الضوابط والآداب الحوارية في دعوته الحقه إلى الله تعالى.

- كان الواقع النبوي الشريف مرآة لكل أشكال التواصل السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي مع أفراد المجتمع، فالنبي (ﷺ) استطاع من خلال المشاركة المجتمعية أن يوضح ويبين كيف استطاع بالأسلوب الحوارى أن يكتسب قلوب البشر ويقنعهم بدعوته بواقعية مثالية شفافة.

- شكل النمط الحوارى الخطابي القولي عن النبي (ﷺ) أحد طرق الإبلاغ النبوي للرسالة المحمدية عن الله عز وجل، كالخطب وبعض المواعظ والأوامر والنواهي، والمشورة وإبداء الرأي في مسألة ما، وتنوع ذلك النمط الحوارى ما بين اللقاءات الحوارية النبوية الفردية والجماعية.

- لم يقتصر الحوار النبوي على الحيز العربي فقط، بل تخطاها إلى الدعوة بالحوار الكتابي إلى أمراء وملوك الشعوب المجاورة، ومن تلك الخطابات الحوارية الكتابية النبوية خطاب النبي لهرقل عظيم الروم وكسرى ملك الفرس والنجاشي ملك الحبشة.

- أصبحت الحاجة ملحة إلى إشاعة ثقافة الحوار والتفاوض داخليًا وخارجيًا، لمزيد من التفاهم بين المسلمين، ذلك التفاهم الذى يكاد يكون مفقودًا أو على الأقل غير فعال، حتى وصل الأمر إلى الفرقة والاختلاف وإضاعة الفرص وتمكين العدو منا، بل الحرب بين المسلمين أحيانًا.

الهَوامِشُ:

(١) **سورة النحل**: الآية (١٢٥).

(٢) جمال الدين بن منظور: **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ج٤، ص٢١٧- ٢١٩ مادة حور.

(٣) الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، لبنان، د.ت، ج٢، ص١٦.

(٤) **سورة الانشقاق**: الآية (١٤).

(٥) أحمد بن فارس: **المقاييس في اللغة**، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٢٨٧- ٢٨٨ مادة حور.

(٦) الزوزني: **شرح المعلقات السبع- معلقة عنترة بن شداد**، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٢٩.

(٧) يحيى زمزمي: **الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، ص ٢٢؛ محسن الخضيري: تنمية المهارات التفاوضية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٥.

(٨) نبيل على: **الثقافة العربية وعصر المعلومات**، عالم المعرفة، الكويت، عدد ٢٦٥، ٢٠٠١م، ص ص٤٦-٤٧؛ حسن محمد وجيه: **مقدمة في علم التفاوض السياسي والاجتماعي**، عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٩٠، ١٩٩٤م، ص ٢٣؛ فاروق السيد عثمان: **سيكولوجية التفاوض وإدارة الأزمات**، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩٨م، ص٢-٣.

(٩) الجرجاني: **التعريفات**، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٠م، ج١، ص٧٦؛ عبد الله بن حسين الموجان: **الحوار في الإسلام**، مركز الكون، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ص ٢٦-٢٧.

(١٠) الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، مكتبة نزار مصطفي الباز، ١٩٩٧م، ص١١٧؛ محمد راشد ديماس: **فنون الحوار والإقناع**، دار ابن حزم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص١١.

(١١) منى إبراهيم اللبودى: **الحوار – فنياته واستراتيجياته وأساليب تعلمه**، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ص ٤٩؛ معن محمود عثمان ضمرة: **الحوار في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين،٢٠٠٥، ص ١٣.

(١٢) **سورة الأنعام**: الأية١٦٢.

(١٣) رواه مسلم: (٤٩٢٧).

(١٤) عبد الله بن الحسين الموجان: **الحوار في الإسلام**، ص ٧٥؛ تيسير محجوب الفتياني: **الحوار في السنة**، منشورات مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ١٩٩٩م، ص ١٣.

(١٥) **سورة التوبة**: الآية ١١١.

(١٦) رواه البخاري: (٦٠٩٤).

(١٧) **سورة النمل**: الأية١٤.

(١٨)- رواه البخاري (٣١٤٩) ومسلم (٢٤٢٩).

(١٩) رواه مسلم (٧٢١٠).

(٢٠) سعيد بن ناصر الشثرى: **أدب الحوار**، كنوز اشبليا للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ص ٢٠؛ محمود محمد عمارة: **من أجل حوار لا يفسد للود قضية**، مكتبة الإيمان، المنصورة، ٢٠٠٠م، ص ٨٦؛ سيف الدين شاهين: **أدب الحوار في الإسلام**، دار الأفق، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص١٢٦-١٢٧.

(٢١) على محمد الصلابي: **السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث**، دار المعرفة، بيروت، الطبعة السابعة، ٢٠٠٨م، ص٢٣١-٢٣٩.

(٢٢) عبد الله بن ضيف الله الرحيلي: **قواعد ومنطلقات في أصول الحوار ورد الشبهات**، دار المسلم، الرياض، ١٩٩٤م، ص ٣٣.

(٢٣) عقيل بن محمد المقطري: **أدب الاختلاف**، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص ٢٥- ٢٦.

(٢٤) رواه البخاري (٦١١٦).

(٢٥) رواه البخاري (٧١٥٨)؛ ومسلم (٤٤٩٠).

(٢٦) أحمد كمال أبو المجد: **حوار لا مواجهة**، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٢٤.

(٢٧) **سورة العنكبوت**: الآية (٤٦).

(٢٨) **سورة النحل**: الآية (١٢٥).

(٢٩) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، مؤسسة الريان، لبنان، د.ت، ج٣، ص٥٤٧.

(٣٠) **سورة الإسراء**: الآية (٧٠).

(٣١) محمد بن إبراهيم الحمد: **أخطاء في أداب المحادثة والمجالسة**، دار ابن خريمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م، ص ٧٥.

(٣٢) **سورة آل عمران**: الآية ٦٥-٦٦.

(٣٣) البيهقي: **شعب الإيمان**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، رقم الحديث(٥٣١٤).

(٣٤) **معن ضمرة**: الحوار في القرآن الكريم، ص ١٨-٢٠؛ وليم.ج. ماكولاف: **فن التحدث والإقناع**، ترجمة وفيق مازن، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م، ص ١١٧؛ محمد السيد الوكيل: **أسس الدعوة وآداب الدعاة**، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص ١٣٤؛ ديل كارنيجي: **كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس**، ترجمة عبد المنعم الزيادى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥١م، ص ٧١.

(٣٥) رواه مسلم (٦٦٩٠).

(٣٦) **سورة الحجرات**: الآية (١٣).

(٣٧) يحيى بن محمد حسن زمزمي: **الحوار: آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، ص ٤٦.

(٣٨) رقية طه جابر العلواني: **فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية**، نشر مؤسسة جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ص ١٦٣.

(٣٩) منى إبراهيم إسماعيل اللبودي: **تنمية فنيات الحوار وآدابه لدى طلاب المرحلة الثانوية**، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٨٦.

(٤٠) عبد العزيز بن إبراهيم العمري: **أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية في السيرة النبوية**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ص ٥٦؛ أحمد بن عبد الرحمن الصويان: **الحوار- أصوله المنهجية وآدابه السلوكية**، دار الوطن للنشر، الرياض ١٤١٣هـ، ص ٢٨.

(٤١) المرجع نفسه، ص ٥.

(٤٢) سورة أل عمران: الآية (١١٣).

(٤٣) صالح بن عبد الله بن حميد: **أصول الحوار وآدابه في الإسلام**، نسخة من شبكة الإنترنت:/www.saaid.net/mktarat.

(٤٤) سلمان بن فهد العودة: **أدب الحوار**، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى،١٤٢٤هـ، ص ١٦-١٧.

(٤٥) عبد الكريم بكار: **الحوار المتسامح**، مقال بمجلة المعرفة، تصدرها وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية، ٢٠٠٥ م، عدد ١٢١، ص ١٣.

(٤٦) هانس بيترمان، هارالد شومان: **فخ العولمة**، ترجمة عدنان عباس علي، عالم المعرفة، الكويت، عدد ٢٣٨ ، ١٩٩٨م، صفحات متفرقة.

(٤٧) محمد السماك: **مقدمة إلى الحوار الإسلامي** - المسيحي، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٨م، ص٩١-٩٢.

(٤٨) **سورة الكافرون**: الآية (٦).

(٤٩) **سورة النساء**: الآية (١٧١).

(٥٠) **الأريسيين**: هم أتباع عبد الله بن أريس وكان قد ابتدع فيهم ديناً، وقيل هم الملوك الذين يخالفون أنبياءهم، وقيل هم الفلاحون والأتباع. انظر: ابن حجر: **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ج١، ص٧٧.

(٥١) **سورة آل عمران**: الآية (٦٤).

(٥٢) مجموعة من المؤلفين: **البعد الحضاري لهجرة الكفاءات**، كتاب الأمة، السنة الثانية والعشرون، العدد ٨٩، ٢٠٠٢م، مقدمة الكتاب.

(٥٣) راغب الحنفي السرجاني: **الرحمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم**، رابطة العالم الإسلامي، المركز العالمي للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته، الرياض، الطبعة الاولى، ٢٠٠٩م، ص ٢٣٦-٢٣٧؛ يحيى بن عبد الله البكري الشهري: **أثر معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم في نشر الدين الإسلامي**، الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص ٢٣-٤٧.

(٥٤) راغب السرجاني: **فن التعامل النبوي مع غير المسلمين**، دار أقلام للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ١٠٥-١٠٦، ١٥٤؛ ناصر محمدي محمد جاد، **التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي**، دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الاولى، ٢٠٠٩م، ص ١٥١-١٥٩.

(٥٥) **سورة البقرة**: الآية (٢٥٦).

(٥٦) **سورة يونس**: الآية (٩٩).

(٥٧) ابن هشام: **السيرة النبوية**، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م،ج١، ص١٦٨.

(٥٨) رواه البخاري (٤٩٧٢).

(٥٩) ابن هشام: المصدر السابق،ج١، ص ١٧٦-١٧٧.

(٦٠) طرف من حديث رواه مسلم واللفظ له (١٣٢) والبخاري (١٣٦٠).

(٦١) ابن هشام: **السيرة النبوية**،ج١، ص ١٩١.

(٦٢) نفس المصدر والجزء، ص ١٩٣.

(٦٣) **سورة فصلت**: الآية ١- ٥.

(٦٤) الطبري: **تاريخ الطبري**، دار المعارف، القاهرة، ط٦، د.ت،ج٢، ص ٣٥٢-٣٥٣.

(٦٥) ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج١، ص ٢٨٩ – ٢٩٠.

(٦٦) طرف من حديث رواه البخاري (٣٥٢٢) ومسلم (٦٣٦٢).

(٦٧) طرف من حديث رواه مسلم (١٩٣٠).

(٦٨) **سورة أل عمران**: الآية (٦٤).

(٦٩) الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، ج٢، ص ٦٥٤-٦٥٥.